

إن عصرنا يختلف كثيراً عما قبله من عصور، وهذا الاختلاف من شأنه أن يؤثر على كل شيء في الحياة وبخاصة على الفن التشكيلي بفروعه المختلفة التصويرية والتطبيقية، وباستعراض ظروف القرن العشرين الذى ازدهر فيه الفن التشكيلي المعاصر، نجد أنه بعد أن كان المجد هو الذى يحفظ المأثور ويكرره، أصبح المجد اليوم هو الذى يبدع ويبتكر ولقد كان ذلك نتيجة للثورات والحروب التي حدثت في القرن العشرين وما قبله، والاتجاه إلى تحطيم أصنام الأفكار المترمة القديمة والجمود في مناهج الفن وإنتاجه وبدأ المفكرون والفنانون يبرزون مثاليات جديدة ببساطة الحياة وعدم تعقيدها والوصول إلى الحقيقة الفنية مباشرة، وبوجدان خالص أى الاتجاه إلى الحقيقة الفكرية أكثر من الاتجاه إلى الحقيقة البصرية أى إلى المفهوم أكثر من الملموس. وبذلك فإن الأصل أن المعيار يتم بتأثير العمل الفنى على الوجدان مباشرة، بصرف النظر على المحتويات التى يتضمنها هذا العمل، فأنفعالات الفنان هى التى تشكل الموضوعات الفنية وتصوغها بحيث تحمل المعانى الجديدة، وتمثل الرؤية الجديدة للفنان، وليس من المتوقع أن تتكرر هذه الرؤية من فنان لآخر، إذ أن كل فنان يضيف رؤيته إلى تراث البشرية الفنى حيث بدأت تتلاشى فكرة التقليد للعالم الخارجى وحل محلها أفكار ونظريات جديدة عن مفهوم الإبداع ودور الفرد فيه، وكون الحقيقة الفنية موضوعية أو ذاتية شكلت منهج كثير من المدارس الفنية الحديثة. ولذلك فإن تعدد المدارس الفنية إنما هو بمثابة إثبات للنراء الفنى الذى لم يعد يقتصر على مدخل واحد يلتزم به الجميع بل إنها تنطوي على التعدد، وهذا التعدد ثمرة لعقلية العصر واهتمامه، ويتميز الفن الحديث بأنه متجدد ويخرج عن القواعد المألوفة وبذلك ظهرت مدارس فنية متعددة وفنانون ذوو فرديات متعددة.

وحيث إن الفن والصناعة هما السمة البارزة على جبين هذا العصر فإن هذه السمة تتبع من حتمية التطور خاصة الفن قروناً بعد قرون، مما يتفق مع طبائع الأشياء في أن تصبغ طبائع وحضارة هذا العصر بصبغة الفن والصناعة معاً ويلى ذلك فإن الفن هو علم تغير الحياة.

وعلى ذلك فإن تعاقب الحركات الفنية بسرعة في هذا القرن إلى جانب أن الفن الحديث لم يعد يبلغ بعد مداه فإننا نجد أن الفن الحديث لا يعكس الشئ المرئى وإنما يجعله مرئياً، وتعتبر هذه العبارة معياراً نسبياً تقاس بها الأعمال الفنية وتحدد بها حداتها.

ولقد تعددت المذاهب الفنية في أوروبا بعد انقضاء فترة الفن المسيحي الذى انتشر في القرون الوسطى فظهر فن النهضة في القرن الخامس عشر وصاحبه اعتزاز الفنان بفرديته ومع التغيرات الدينية والسياسية ظهر فن الباروك والروكوكو، ثم توالى الحركات الفنية في الغرب مع مطلع القرن التاسع عشر وخضع الفن التشكيلي لتأثير العالم والاختراعات الحديثة مثل آلة التصوير الشمسي، وما إن نصل إلى القرن العشرين حتى نقابل ظهور مدارس فنية حديثة.

وعند المقارنة بين عصر النهضة الذى اتخذ هوية " بعث القديم " وعصرنا الحديث الذى يتخذ " طابعاً ثورياً " ويتميز بثورتين مختلفتين: الأولى صناعية والثانية سياسية، نجد أن الفن في القرن العشرين ظهرت به النظريات الحديثة التى مازالت تقابل إما بالهجوم الشديد أو بالحماس الشديد وكذلك ظهور اتجاهات متضاربة ونجد أن بعض الفنانين اتجهوا إلى اعتناق نظرية وراء أخرى مما جعل الأمر عسيراً في أن نضع كل منهم في مكان محدد بين المدارس الفنية التى ينتمون إليها، وبالرغم من ذلك فقد ظهرت أعمال فنية قيمة وخالدة وهى تمثل حقيقة التعبير عن انفعالات الفنان واستجابته لكل مشكلات

عصره، وكذلك تحرر من الفن الأكاديمي مما جعله أكثر استقبالا للطرز الفنية الحديثة ليُعبر بها عن الموضوع الجمالي، لذا فإن الفن صورة معبرة أى علاقة الخطوط بالألوان والأحجام في حد ذاتها ببعضها. والمهم في الفن أن تتألف عناصر العمل الفني بحيث يصبح كائناً عضوياً سليماً، وليس هناك ما يمنع أن تشترك الوسائط المختلفة في التعبير عن مضمون واحد في العمل الفني.

إن تعدد الاتجاهات الفنية في القرن العشرين التي لا نعتز فيها علي محتوى واقعي أو موضوع بالمعني المتعارف عليه، فلقد جاءت هذه الاتجاهات كمنتجات فنية تتطوي علي قوة ذاتيه تؤثر علي المتلقي بحجمها وملمسها السطحي، فهي تطرح عليه حالة تعبيرية عن شئ لا يعرف ماهيته، ولقد درج العامة من الناس علي تسمية هذا الفن بالاموضوعي أو التجريدي. والتجريدية روادها كثيرون، ونفروعاتها متعددة الأشكال والأنماط، وهي في مُجملها تؤمن بأن للألوان والأشكال معانٍ مستقلة تستدعي أحاسيس المتعة الذاتية وهي تكتسب معانيها عن طريق صياغة الفنان الذي يستخلص من الأشياء العرضية فكرة مجردة أكثر كمالاً، وتعتبر هذه الأفكار هي نفسها مبادئ "سقراط" و"أفلاطون" في تعريف الجمال.

ولقد بدأت المحاولات الأولى في ظهور مفهوم التجريدية التعبيرية في التصوير في مطلع القرن العشرين، علي يد الفنان الروسي فاسيلي كاندينسكي (1866-1944) وذلك حينما توصل إلي مفهوم جديد في الفن يعتمد علي الابتعاد عن تصوير المظاهر الخارجية للطبيعة والاعتماد الذاتي للفنان كعنصر روحي يحدث بصورة لا شعورية، وبذلك فهو مؤسس التجريدية التعبيرية، وقد عبر عن فلسفتها بكونها استخدام اللون والشكل باعتبارهما عوامل داخلية وحدث ذلك بصورة لا شعورية حيث يقول: "إننا نقترّب من زمن التكوين

المنطقي والشعوري وإن أي عمل فني يجب أن يوجد به نوع من البناء الخفي وليس التكوينات الهندسية الظاهرة، فهو تكوين يتصف بالتأثيرات المحسوبة"، فكان كاندنسكي بتلك المفاهيم هو أول من ترجم التجريدية التعبيرية في التصوير. "

وعلي ذلك كان من الطبيعي أن تجد التجريدية التعبيرية المناخ المناسب لتواجدها في الفن التشكيلي الحديث.

وفى هذا الجزء من الكتاب ، سنعرض سرداً لأبرز المفاهيم الخاصة بفلسفة الفن الحديث وكذلك التجريد والحركة التجريدية وبخاصة التجريدية التعبيرية ثم تناول بعض التصميمات المستوحاه من الفن الجريدى والمنفذة باستخدام الحاسب الآلى.